

الباب الثالث

تفسير المعيبات في القرآن عند تفسير المصباح

أ. سورة الأنعام الآية ٥٩

وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ... (سورة الأنعام، ٥٩). فسر محمد قريش شهاب في تلك الآية بـ: إن الله لا يعلم من هو ظالم و من هو غير ظالم فحسب، بل يعلم كل شيء، ومعرفته شاملة ومفصلة. من هنا، تنص هذه الآية: وهو يعلم كل ما ذكر من قبل وعنده مَفَاتِحُ الْغَيْبِ أو مخازن كل الغيب. أي ما لا يستطيع المخلوق الوصول إليه لَا يَعْلَمُهَا بمعرفة مفصلة ومحددة إلا هو.

١. الله -وحده- الذي يعلم الغيب.

قال محمد قريش شهاب: ^١ (مفاتيح) جمع من (مَفْتَح) بمعنى مخزن أو مكان الخزانة. وهناك أيضا يفهمها بصيغة الجمع من (مَفْتَح) بمعنى قُفْل أو آلة تستعمل لفتح شيء، وهذه الكلمة الأخيرة الشاهرة تذكر بـ(مِفْتَاح)، ويعد بعض العلماء بأنها ليس من كلمة فصيحة. ومع ذلك، عند العلامة الطباطبائي، كلاهما -المعنى- المذكور يجتمع في نتيجته لأن من يملك مفاتيح المخزن يمكن عادةً فتحه حتى يعلم محتوياته. وكذلك من يملك مخزن، يملك مفتاحه ويمكن فتحه. لأنه يفهم الكلمة المذكورة ميلا الى معنى مخزن، بدليل أن القرآن لم يذكر بـ

¹ Muhammad Quraish Shuhab, *Tafsir al-Misbah*, vol. 3. 466-467.

مفتح، بل يذكر خزائن بمعنى مخزن علي سبعة أضعاف. وفي مكان آخر، ذكر القرآن عن كنوز قارون: إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ (سورة القصص: ٧٦). ويستعمل في هذه آية (مفتاح) جمع من مفتح، بمعنى مفتاح وليس بكنز لأن كم من شئ في الكنوز إذا كان يتحملها بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ فقط، في حين أن الآية التي تتحدث عن قارون تهدف إلى إعلام وفرة نعمة الله التي لا يشكرها.

وفهم البقاعي قول الله: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ بالزيادة والتأكيد لمجال علمه. وفقا له، شئ مخفي شبيه بشئ في الخزائن. لا يستطيع أحد معرفة ما فيها إلا من يستطيع فتحها ولا يستطيع فتحها إلا من يملك مفتاحه ويعلم كيف فتحها. وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ ه، هو الله - وحده - صاحبه ويعرف كيف فتحه. من جديد، أيا كان معنى مَفَاتِحِ، والواضح أن هذه الآية تأكيد بأن الله - وحده - الذي يعلم الغيب.^٢

٢. الغيب المطلق والغيب النسبي

قال محمد قريش شهاب^٣: لا يمكن إنكار بأن الغيب كثير ودرجة غيبه متنوعة. وفي هذا الكتاب الغيب، أشار المؤلف الى أن منها الغيب المطلق لا يمكن كشفه على الإطلاق، لأن الله وحده يعلمه، والغيب النسبي. ما يغيب لأحد لكنه معلوم للآخر، فهو الغيب النسبي. النسبية المذكورة يمكنها مرتبطة بالوقت ويمكنها أيضاً بالبشر. ما هو في جيب المؤلف يمكن الغيب بالنسبة لك، ولا للمؤلف. الموت غائب لكل الأحياء، لكنه غير غائب لأولئك

² Muhammad Quraish Shuhab, *Tafsir al-Misbah*, vol. 3, 467.

³ Muhammad Quraish Shuhab, *Tafsir al-Misbah*, vol. 3, 467-468.

الذين يدركونه، وكان وقت وصوله غيب لجميع الأحياء، لكنه إذا مات أحد ففي ذلك الوقت، مجيئه ليس غائب لمن يعرفه. الغيب الذى يمكنك تعريفها بمقدمات فهو الغيب النسبي أيضا.

ورأس لغيب المطلق هو الله سبحانه وتعالى. لأنه لا نستطيع أن نعرف حقيقته فى الدنيا حتى الآخرة ولا تدركه الأبصار. ومن دون الله ما يتضمن فى الغيب المطلق مرتبا، كيوم القيامة التى لا يعلمها شخص متى تقوم.

و الآن، ظهر السؤال: ما هو فى المخازن من كنوز الله ومفاتيحه " فى يده" هو الغيب المطلق أو الغيب النسبية؟ بينما رأى العلماء بأن ما يوجد فى خزانة الله لا يمكن قياسه بالحجم الذى يعرفه المخلوق، وهذا المفهوم مبني على قوله تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ، وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (سورة الحجر، ٢١). ولذلك، لا يمكن للإنسان معرفة محتوياته لأننا لا نستطيع إلا أن نعرف شيئاً محدوداً وقابلاً للقياس. فى الواقع، بعد أن أنزل الله ما فى الخزانة حتى تنكشف فى هذا العالم، وإذا، يمكن قياسه بحجم معين - كما فى الآية السابقة - و صار الغيب النسبي أو شيء حقيقي وليس بغائب. وأما ما لم ينزل عنه فهو الغيب المطلق.^٤

⁴ Muhammad Quraish Shuhab, *Tafsir al-Misbah*, vol. 3, 468.

ب. سورة لقمان الآية ٣٤

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ
 غَدًا^٥ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (سورة لقمان، ٣٤).

فسر محمد قريش شهاب في تلك الآية بـ: تقول الآية المذكورة: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ فَقَطْ
 عِلْمُ السَّاعَةِ. لا أحد من مخلوق، مهما كان مرتبته عالياً، أن يعرف مجيئه؛ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ لحظة
 بلحظة وبأشكاله المختلفة، السائلة أو المجمدة، وفي أي مكان يحدده، و يستمرّ يَعْلَمُ مَا فِي
 الْأَرْحَامِ. وليس يجنسّه فحسب ولكن يعلم كل ما يتعلق بالجنين، حتى تفاصيل نسبه. وَمَا
 تَدْرِي نَفْسٌ عالماً كان أو جاهلاً بالتأكيد مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا مع تأثير وحصيلة كسبه. وَمَا
 تَدْرِي نَفْسٌ قطعاً بِأَيِّ أَرْضٍ، أي أين ومتى تَمُوتُ. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.^٥

١. عِلْمُ السَّاعَةِ

و(عنده) يتضمن معنى التخصيص، يعني عنده وحده ليس بغيره. لا أحد من مخلوق،

مهما كان مرتبته عالياً، أن يعرف مجيئه.^٦

٢. وَيُنزِلُ الْغَيْثَ

وقوله (وَيُنزِلُ الْغَيْثَ) يفهمها ابن عاشور ليس بمعنى أن الله الذي ينزل المطر، بل هو

يعلم متى ينزل المطر. هذا الرأي يمكن مناقشته. ومع ذلك، حتى الآن، لا تزال وكالة الأرصاد

⁵ Muhammad Quraish Shihab, *Tafsir al-Misbah*, vol. 10, 342.

⁶ Muhammad Quraish Shihab, *Tafsir al-Misbah*, vol. 10, 342.

الجوية تستخدم الإصطلاح "توقعات الطقس"، أي أنهم لا يمكن تحقّقه. ما يفعلونه بالشكل التقديرات فقط، بل التنبؤات والتوقعات. إستعمال المضارع ليُشير الى أنها حدثت من لحظة بلحظة ، عندما أنشأها الله. وعلى جانب الآخر، نضع في اعتبارنا أن الإنسان لم تكن-لو يَأبو بالقول "لا يمكن"- قادرا على وقف المطر اذا نزل. تأكّد من كارثة الفيضانات التي وقعت، حتي في البلدان المتقدمة.

ولم يكن بوسعها أيضًا يُنزّل المطر، فقد ثبت في كثير من المناطق الإقليمية في جميع أنحاء العالم التي تعاني من الجفاف. ومع ذلك ، ليس علينا أن نفهم هذه الآية بمعنى أن الله وحده يعلم متى ينزله، لا سيّما عن إعلان أن هذا في عداد من الغيب المطلق الذي لا يعرفه الإنسان. في الواقع، علم الله نزول المطر يمكن فهمه بمعنى التحقّق قدر هطل المطر، وأن المقصود بـ"الله وحده الذي ينزّله" هو الذي يحدد قوانين الطبيعة وأسباب النزله ويخلق مواد نزول المطر.^٧

٣. يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ

قوله: (يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) في الماضي يفهم كثير من العلماء بمعنى معرفة جنسه. لكن الآن، يفهمها العلماء على نطاق أوسع من ذلك. لأن (ما) تغطي كل شيء. في سياق

⁷ Muhammad Quraish Shihab, *Tafsir al-Misbah*, vol. 10, 343.

هذه الآية ما ترتبط بالجنين، مثل عملية نمو الجنين والوزن والشكل والجمال والقبح والعمر والرزق والحاضر والمستقبل، وغير ذلك.^٨

وهناك فرق بين معلومات هذه الآية المتعلقة بمعرفته للساعة ونزول المطر وما هو في الرحم. ويرافق علمه بالساعة بـ(عنده) الذي يتضمن معنى التخصيص، وغيره ليس مطلقا كذلك حتى يفهم أنهما ليس من الغيب الذي لا يعلمه إلا بالله. الإختلاف التحريري ربما أشار إلى أن الإنسان يعلم قليلا عن أشياء الذي قد ذكر هنا إذا سلم الله إليه بأحد طرق التسليم، كبحث علمي مثلا، ومع ذلك، الإنسان يعلم بقدر علمه، وليس بقدر علم الله تعالى. لأن علم الله مختلف ولا تمكن مقارنته بعلم الإنسان. وأما علم مجيئ الساعة، فلن يعلمها الإنسان العاديون حتى الإنسان والملائكة المختارين لا تمكن معرفتها.

٤. وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ

الأمران الأخيران المذكوران في الآية السابقة، يعني ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت، قدم هنا كإعلان الى الإنسان: ناهيك عن الأشياء الصعبة وما في الخارج عنك، المسائل المتعلقة بنفسك فيما يتعلق بأقرب مستقبل لك، يعني الغد، ومستقبلك الأبعد - في حياة هذا العالم والشيء الذي كنت تخاف مجيئه - يعني الموت. فيما يتعلق بتلك الأمرين المذكورين، لا تعرفهما بالتأكيد والمفصلة، لاسيما عن الأشياء التي في خارجك.^٩

^٨ Muhammad Quraish Shihab, *Tafsir al-Misbah*, vol. 10, 343.

^٩ Muhammad Quraish Shihab, *Tafsir al-Misbah*, vol. 10, 344.

و (تدري) ليس تماما نفس بـ(يعلم). وأما "تدري" يتضمن معنى الجهد الجدي مع الاهتمام والتفكير. ولذا، لا تستخدم هذه الكلمة للإشارة إلى معرفة الله، فمعرفة تختلف عن معرفة الإنسان.^{١٠}

والإنسان بالطبع يمكن أن يجرز العلم أو المعرفة بعون الله. بل، اصطلاح العالم يستعمل القرآن للإنسان (سورة الذاريات آية ٢٨). ومع ذلك، كيفما عمق وسع علوم الإنسان، هناك اختلاف كثير بين علوم الإنسان وعلوم الله.^{١١}

أولا، من حيث موضع المعرفة. الله يعلم كل شيء، والإنسان لا يمكن أن يقترب من علم الله. وعلوم الإنسان جزء صغير من قطرة محيط علمه تعالى. وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (سورة الإسراء، ٨٥).

ثانيا، وضوح معرفة الإنسان لا يمكن تحقيق وضوح معرفة الله. إن أوضح شواهد الإنسان على شيء كرويته خلف حجاب رفيع، لا يمكن ان يخترق الموضع الذي يشهد إلى الحد الأخير.

ثالثا، علم الله ليس نتيجة لشيء. لكن شيء هو من نتيجة علمه. و علم الإنسان ينتج عن وجود شيء. لهذا الثالث، يمثل الإمام الغزالي مثالا بمعرفة لاعبي الشطرنج ومعرفة صانع الشطرنج. صانعه هو سبب وجود الشطرنج، في حين أن وجود الشطرنج هو سبب

¹⁰ Muhammad Quraish Shihab, *Tafsir al-Misbah*, vol. 10, 344.

¹¹ Muhammad Quraish Shihab, *Tafsir al-Misbah*, vol. 10, 344-3 45.

معرفة اللاعب. تسبق معرفة الصانع بمعرفة اللاعب بينما يتم اكتساب معرفة اللاعب بعد فترة طويلة من معرفة صانع الشطرنج. وكذلك علم الله وعلم الإنسان.

رابعاً، علم الله لا يتغير مع تغيير الأشياء الذي عرفه. لذلك، لا توجد الصدفة عند الله لأن معرفته بما سيحدث ويحدث هي متساوية عنده.

خامساً، الله يعلم من دون أدوات، وعلوم الإنسان يُحرزها بحواسه وعقله وقلبه، وكلها يسبقه الجهل. وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (سورة النحل، ٧٨).

سادساً، علم الله خالد، لا يضيع ولا ينسى. وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (سورة مريم، ٦٤). والإنسان يمكن أن ينسى علمه.

(تَكْسِب) من (كسب)، يعني ما يجهد الإنسان الذي يظنه أن يفيد أو يدفع عن الضرر أو الذي يظنه كذلك، وإن كان في الواقعة ليس كذلك. "كسب" يمكن أن تكون في شكل الأقوال أو الأفعال، حتى النية أو دافع شخص. ألا يعلن الله أنه سيحاسبنا على ما تفعل قلوبنا؟ (اقرأ سورة البقرة، ٢٢٥).^{١٢} إذا كان الأمر كذلك، (تكسب) يتضمن على معنى واسع. بالإضافة إلى الأفعال والأقوال، وكذلك الأسباب والعوامل التي تصاحبه والدافع

^{١٢} قول الله تعالى: لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ (سورة البقرة،

والنية عند القيامه. يمكن للإنسان أن يتقن الا قليلا من الحاضر لبضع دقائق أو ثواني. بعد ذلك، لا يمكن تأكده. هذا، مع أنه يجاهد، وينتبه ويُفكّر "لمعرفته"، كما يُفهم من (تدري) الذي استعملته الآية السابقة.

توضح الآيات المذكورة السابقة الأشياء الذي لا يعرف الإنسان أو لا يعرفه كليا. في الحقيقة، كثير من الأشياء الذي لا يعرفها الإنسان، لا سيّما بالأشياء التي تتعلق بحياة الآخرة الغيبية.^{١٣}

وهذه الآية يختتم بقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ. وهذا يحتمل بالإشارة إلى أن ما لا يعرفه أحد أو أي شخص يعرف الله سبحانه وتعالى لكل تفاصيله. هذان صفات الله أيضا يترجم غالبا بـ (*Maha Mengetahui*) العالم، ولكن في الواقع وجود فرق بينهما. عليم يتعلق بمعرفته عن كل شيء بنظر الي جهته تعالى ليس بنظر شيء الذي عرفه. وخبير هو اتساع معرفته التي تتعلق بتفاصيل الأشياء التي يعرفها. هنا، التركيز ليس على أنه العالم، بل على شيء معروف.^{١٤}

يوجد ثلاث آيات في القرآن التي يُقرن بخبير وعليم. ومفهومها هو الأشياء التي لا يمكن أو صعب للإنسان معرفها. أولا، محل الموت، يعني اللأية التي فسرها هنا (لقمان، ٣٤). ثانيا، جودة المجد وتقواه، قوله تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (سورة الحجرات، ١٣). ثالث، سر مخفي جدا. في هذه الحالة المحادثات السرية بين زوجات

¹³ Muhammad Quraish Shihab, *Tafsir al-Misbah*, vol. 10, 345-346.

¹⁴ Muhammad Quraish Shihab, *Tafsir al-Misbah*, vol. 10, 346.

النبي ﷺ، عائشة والحفصة. فيما يتعلق بموقفهم تجاه الرسل الذين برز من غيرتهم لزوجات النبي الآخر. زينب: عندما أعلم النبي محمد ﷺ المحادثة بين حفصة وعائشة. ثم سألت حفصة النبي ﷺ: قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ (سورة التحريم, ٣).^{١٥}

هذه السورة تحتتم بذكر الأشياء التي يخفيها الله للإنسان لأن هناك حكمة. كثير من الفوائد التي سوف تكون مهمة إذا تم الكشف عنها. وتحتتم بسن معرفة الله الشاملة والمفصلة خصوصا عن أحوال الساعة، وتحدث هذه السورة عن كتابه الحكيم والذي هو الإرشاد والنعمة اللذان تلقاهما كل من المحسنين الذين تيقنوا بالساعة. وهكذا يقابل الوصف الأولي للسورة بالوصف النهائي. قد صدق الله الذي أنزل هذا الكتاب المقدس ومليئة بالحكمة. نرجو أن يكون لدينا بصيص من الضوئه. آمين، والله أعلم.^{١٦}

¹⁵ Muhammad Quraish Shihab, *Tafsir al-Misbah*, vol. 10, 347.

¹⁶ Muhammad Quraish Shihab, *Tafsir al-Misbah*, vol. 10, 347.